بلدان الخلافة الشرقية

يتناول صفة العراق والجزيرة وايران
وأقاليم آسية الوسطى
منذ الفتح الإسلامي حتى أيام تيمور

تأليف
كي لسترنج
مؤلف كتاب «فلسطين في عهد الاسلام»
و«بغداد في عهد الخلافة العباسية» وغيرها

نقله إلى العربية
وأضاف إليه تعليقات بلدانية وتاريخية وأثرية
ووضع فهارسه

بشير فرنسيس
كوركيس عواد
عضو المجمع العلمي العراقي

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

الفصل التاسع

بلادُ الرُّوم

اى آسية الصغرى

بلاد الروم ـ الثغور من ملطية الى طرسوس ـ الدربان الكبيران فى جبال طوروس ـ طريق القسطنطينية المار بالابواب القليقية ـ طرابزون ـ حصارات القسطنطينية الثلاثة ـ غزوات المسلمين فى آسية الصغرى ـ نهب عمورية بأمر المعتصم ـ فتح السلاجقة آسية الصغرى ـ مملكة ارمينية الصغرى ـ الصليبيون ـ اجل مدن السلاجقة فى بلاد الروم .

كان المسلمون يسمون أقاليم الدولة البزنطية فى جملتها : بلاد الروم . ولفظة الرومى أى الرومانى فى العصور الاسلامية الاولى كانت ترادف عندهم « النصرانى » سواء أكان من اليونان أم اللاتين . وكانوا يعرفون البحر المتوسط باسم بحر الروم أيضا ثم اختصر اسم « بلاد الروم » الى « الروم » فقط . وصارت لفظة « الروم » بمرور الايام اسما لاقرب الاقاليم النصرانية من بلاد الاسلام . ومن ثمة صار « الروم » اسما لآسية الصغرى عند العرب وهى البلاد العظيمة التى انتقلت نهائيا فى ختام المئة الخامسة (الحادية عشرة) الى ايدى المسلمين باستيلاء السلاجقة عليها .

ولقلة ما بأيدينا من مراجع عن ذلك الزمن لم يتوفر لدينا ـ يا أسفنا ـ

من وثيق الأخبار ما يعتدّ به عن تاريخ آسية الصغرى وجغرافيتها التاريخية في القرون الوسطى ، سواء في عهدها النصراني أم في أيام المسلمين[١] . ولا غرابة في قلة ما عرفه البلدانيون العرب القدماء عن هذه البلاد : فقد كانت في أيامهم اقليما من أقاليم دولة الروم ، وبعد انتقال هذا الاقليم الى سلطان السلاجقة الترك لم يعن – يا للأسف – مصنفونا المسلمون بهذا الاقليم الاسلامي البعيد ، فلم يته الينا وصف دقيق له يشبه ما خلفوه عن غيره من الاقاليم . وأول وصف كامل لآسية الصغرى الاسلامية ، كتبه الحاج خليفة ، غير ان هذا لا يرقى الا الى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) أي بعد أن مضى نحو مئتي سنة على دخول هذا الاقليم في جملة أجزاء الدولة العثمانية [٢] .

كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم في أيام بني أمية وبني العباس بل حتى قبل ان يقضي المغول القضاء المبرم على العباسيين بما ينيف على قرن ونصف قرن ، تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلة (انتي طوروس) Anti Taurus . وكان يعين هذه الحدود ويحميها خطّ طويل من القلاع (تعرف بالعربية بالثغور) يمتد من ملطية على الفرات الاعلى الى طرسوس بالقرب من ساحل البحر المتوسط . وكان الروم يحتلون هذه القلاع تارة والمسلمون تارة أخرى . فكان الفريقان فيها بين كرّ وفرّ . وينقسم خط القلاع هذا عادة الى مجموعتين : احداهما تحمي الجزيرة (وتسمى ثغور الجزيرة) وهي الشمالية الشرقية ، والثانية تحمي الشام (وتسمى ثغور الشام) وهي الجنوبية الغربية . وكان من ثغور الجزيرة : ملطية وزبطرة وحصن منصور وبهسنا والحدث ، وقد مرّ

---

(١) يحتوي كتاب الجغرافية التاريخية لآسية الصغرى Historical Geography of Asia Minor لمؤلفه البروفسور رمسي N. M. Ramsay (ونشير اليه بحروف HGAM) على خلاصة رائعة لكل ما يعرف الآن عن هذا الموضوع . ولا غنى عنه لمن يبتغي تفهم هذه المعضلة المعقدة فهما صحيحا . والفضل في كتابة هذا الفصل يعود الى هذا الكتاب أكثر من أي مرجع آخر مذكور في الحواشي . ويحسن الرجوع أيضا الى مقالات البروفسور رمسي المفيدة في المجلة الجغرافية (G.J.) لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ . وتشرين الاول ١٩٠٣ ص ٣٥٧ .

(٢) اما في القسم الشرقي من بحر الروم فقد أجاد العرب في معرفة جزيرتي قبرس ورودس . فان المسلمين غزوا الجزيرة الاولى منذ سنة ٢٨ (٦٤٨) بقيادة معاوية الذي صار خليفة فيما بعد . على انه لم يصل الينا وصف جغرافي لهاتين الجزيرتين . البلاذري ١٥٣ و ٢٣٦ ؛ ياقوت ٢ : ٨٣٢ ؛ ٤ : ٢٩ .

وصفها في الفصل السابق . ثم مرعش والهارونية والكنيسة وعين زربى . ومن الثغور التى تحمى الشام ، وكانت بالغرب من الساحل الشمالى لخليج اسكندرية (اسكندرونة) : المصّيصة وأذنة وطرطوس .

اما مرعش ، وسماها الروم مراسيون (Marasion) فيقال انها قامت في موضع جرمانيقية . وقد جدد بناءها الخليفة معاوية في المئة الاولى (السابعة) . وفي عهد أواخر خلفاء بني أمية حصنها المسلمون وانتقلوا اليها وبنوا لهم فيها مسجدا جامعا . ثم حصّنها هرون الرشيد . وكان لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني ، على ما جاء في ياقوت . وانما سمي بذلك نسبة الى بانيه مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية . وفي سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) استولى الصليبيون على مرعش بقيادة غودفرى دى بويون (Godfrey de Bouillon) ثم صارت مدينة ذات شأن من مدن مملكة ارمينية الصغرى (وسيأتي الكلام عليها) . ولبثت أغلب الوقت في ايدى النصارى حتى سقوط هذه المملكة . وما زال ثغر عين زربى ، وعرفه الصليبيون باسم انازربس (Anazarbus)، قائما . وقد كان هرون الرشيد جدده وأحكم تحصينه في سنة ١٨٠ (٧٩٦) . ووصف الاصطخرى عين زربى بقوله انها « بلد يشبه مدن الغور . بها نخيل وهى خصبة واسعة الثمار والزروع والمراعى » . وكان لها سور مكين ، كثيرة الخيرات جليلة الشأن في المئة الرابعة (العاشرة) . وفي نحو منتصف هذه المئة انفق سيف الدولة الحمداني على ما يقال ثلاثة آلاف ألف درهم (نحو ١٢٠٠٠٠ باون) حتى أعاد عمارتها . ثم استولى الروم عليها غير مرة ، وفي ختام المئة التالية استولى الصليبيون عليها وخرّبوها . ثم صارت جزءا من دولة ملك ارمينية الصغرى . ووصف أبو الفداء هذه المدينة بقوله : بلد في جبل ذات قلعة مستعلية عنها » . وهى على مسيرة يوم جنوب سيس . وزاد ابو الفداء على ذلك ان في جنوبها نهر جيحان . وفي المئة الثامنة (الرابعة عشرة) « غيّر الناس اسمها وسموها ناورزا » .

وموضعا الهارونية والكنيسة ، لا يعرفان على وجه الصحة ، الا انهما تقعان في الجبال بين مرعش وعين زربى . والهارونية ، وهى على مرحلة غرب مرعش ، وحصونها نسبت الى هرون الرشيد ، بناها سنة ١٨٣ (٧٩٩) . وكان هذا الثغر غربى

جبل اللكام في بعض شعابه . وجبل اللكام اسم اطلقه البلدانيون المسلمون على سلسلة جبال انتي طوروس . والظاهر ان ابن حوقل زار الهارونية فقد قال فيها انها « في غاية العمارة » وقلعتها حصينة وقد خربها الروم « ففي سنة ٣٤٨ (٩٥٩) سبوا من أهلها الفا وخمسمئة مسلم ما بين امرأة ورجل وصبي » على ما ذكر ياقوت . ثم ان سيف الدولة الحمداني جدد عمارة الهارونية ، واستعادها النصارى ثانية ، وظلت بعد ذلك في يد ملك ارمينية الصغرى . اما الكنيسة ، ويقال لها الكنيسة السوداء ، فهي حصن منيع قديم . بناها الروم بحجارة سود على ما قال البلاذري . وزاد على ذلك ان هرون الرشيد « أمر ببنائها واعادتها الى ما كانت عليه وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة » . فيها منبر والظاهر انها كانت الى جنوب جيحان . فذكر الاصطخري انها « ثغر في منزل من شط البحر » . وقال ابو الفداء : « كان بينها وبين الهارونية اثنا عشر ميلا » . وكانت في أيامه من جملة بلاد ارمينية الصغرى ، حالها حال الهارونية .

وأما الثغر الآخر في هذه الجهات ، فهو المعروف عند العرب بالمثقّب ، وسمي بذلك على ما جاء في ياقوت « لانه في جبال كلها مثقبة . فيه كوى كبـــار » . والظاهر ان موضعها الحقيقي غير معروف الا انها لا تبعد كثيرا عن الكنيسة فانها كانت عند لحف جبل اللكام على ساحل البحر قرب المصيصة . وأول من بنى حصن المثقّب هشام الخليفة الاموي . وقال ياقوت ان الذي استحدثه عمر الثاني « عمر بن عبد العزيز » وكان فيه على ما ذكر ابن حوقل مصحفه بخطه (أي بخط عمر بن عبد العزيز) أتقى خلفاء بني أمية وأكثرهم ورعا . وروى البلاذري الى ذلك انه لما ورد المهندسون لبنائها ، حفروا أولا الخندق في حصن المثقب فوجد في خندقه حين حفر ، عظم ساق مفرط الطول فبعث به الى هشام لطرافته[٣] .

اما المدن الثلاث : المصيصة (Mopsuestia) واذنة وطرسوس ، وكلها من بناء الروم ، فما زالت قائمة . فالمصيصة على نهر جيحان (نهر بيرامس) فتحها عبدالله بن

---

(٣) الاصطخري ٥٥ و ٦٣ ؛ ابن حوقل ١٠٨ و ١٢١ ؛ البلاذري ١٦٦ و ١٧١ و ١٨٨ ؛ المسعودي ١ : ٢٦ ؛ ٨ : ٢٩٥ ؛ ياقوت ١ : ٩٢٧ ؛ ٣ : ٧٦١ ؛ ٤ : ٣١٤ و ٤٩٨ و ٦٤٥ . ابو الفداء ٢٣٥ و ٢٥١ .

الخليفة عبد الملك الاموي في المئة الاولى (السابعة) وبنى حصنها على أساسه القديم ووضع بها سكانا من الجند من أرباب البأس والنخوة • وبنى فيها مسجدا فوق تل الحصن • وكان في الحصن كنيسة جعلت هريا • وبعد وقت قصير نشــأ في الجانب الآخر من جيحان ربض أو مدينة ثانية سميت كفربيا ، بنى فيها الخليفة عمر الثاني مسجدا جامعا اتخذ فيه صهريجا • ثم ان مروان الثاني آخر خلفاء بني أمية أنشأ ربضا ثالثا في شرقي جيحان يقال له الخصوص • وبنى عليه حائطا وأقام عليه باب خشب وخندق خندقاً • وفي زمن الخلفاء العباسيين ، بنى المنصور في المصيصة مسجداً جامعاً في موضع هيكل قديم كان بها وجعله مثل مسجد عمر (الثاني) ثلاث مرات• واستحدث هرون الرشيد كفربيا • وزاد المأمون في مسجدها • وكان بين كفربيا والمصيصة قنطرة على نهر جيحان • ثم لما استخلف المنصــور ودخلت سنة ١٣٩ (٧٥٦) أمر بعمارة مدينة المصيصة وكان حائطها متشــعثاً من الزلازل وســماها المعمورة • وبعد ذلك انتقلت المصيصة كسائر البلدان المجاورة لها الى ايدي ملوك ارمينية الصغرى •

ومدينة اذنة ، وهي قرب المصيصة ، تقع على نهر سيحان (نهر سارس Sarus) وكــان في الطــريق على شيء يسير من المصيصة قنطرة ترقى الى أيام يسطنيانس (Justinian) رممت في سنة ١٢٥ (٧٤٣) وسميت بجسر الوليد نسبة الى الوليد الخليفة الاموي • ثم رمم المعتصم الخليفة العباسي هذا الجسر ثانية في سنة ٢٢٥ (٨٤٠) • وأعاد المنصور بنــاء قسم من اذنة في ســنة ١٤١ (٧٥٨) • ووصفهــا الاصطخري بقوله انها مدينة خصبة عامرة في غربي نهر سيحان حصينة وكان حصنها في ضفة النهر الشرقية بينه وبين المدينة « قنطرة معقودة عليه على طاق واحد » ، على ما جاء في ياقوت • ولأذنة ثمانية أبواب وسور يليه خندق •

واطلق المسلمون على نهري سارس وبيرامس اسم نهر سيحان ونهر جيحان • وكانا في صدر الاسلام حدا مائيا بين بلاد المســلمين وبلاد الروم • وقد ســمى البلدانيــون العــرب نهري بيرامس وسارس باسم جيحان وســيحان ، على غرار تسميتهم نهري أوكسس (Oxus) وجكسارتس (Jaxartes) في آسية الوسطى

وهما أكثر شهرة ، باسم جيحون وسيحون ، على ما سنبسط القول فيه . ومنابع هذين النهرين في المرتفعات شمال ارمينية الصغرى . وكان نهر جيحان ـ وقد ذكر ابو الفداء انه « يقارب نهر الفرات في الكبر ، وتسميه العامة جهان » ـ بعد مروره بالمصيصة يصب في بحر الروم في خليج اياس الى شمال ميناء أكلاّون (ملس Mallus) ثم صار ملو (Malo) . اما نهر سيحان فاصغر منه ، ولم يكن على ضفافه مدن جليلة غير اذنة . وعلى هذا النهر كانت قنطرة الحجر وقد مرّ ذكرها . وجيحان وسيحان على ما روى المسعودي من انهار الجنة[٤] .

ومهما يكن من أمر ، فان أجل الثغور مدينة طرسوس . وكان مقاتلتها من الفرسان والمشاة . وهي تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر طوروس المعروف بأبواب قليقية ذكر ابن حوقل ان على طرسوس سورين من حجارة وبها مئة الف فارس . ثم قال « وكان بينها وبين حد الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام كالحاجز بين العملين » ويقصد بهما عالمي الاسلام والنصرانية . وقال ابن حوقل ان الحامية العظيمة التي أدركها وشاهدها فيها سنة ٣٦٧ (٩٧٨) « كانت من الغزاة الوافدين اليها من البلدان الاسلامية لقتال الروم » . وسبب ذلك ـ فيما ذكر ـ « ان ليس مدينة عظيمة من حد بلاد فارس والجزيرة والعراق والحجاز واليمن والشامات ومصر والمغرب الا وبها لأهلها دار ورباط في طرسوس ينزله غزاة تلك البلدة ويرابطون بها اذا وردوها . وترد عليها الجرايات والصلات وتدرّ عليهم الانزال والحملان العظيمة الجسيمة الى ما كان السلاطين يتكلفونه وينفذونه متطوعين ويتحظّون عليه متبرعين » .

---

(٤) البلاذري ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٨ ؛ الاصطخري ٦٣ و ٦٤ ؛ ابن حوقل ١٢٢ ؛ المسعودي ٢ : ٣٥٨ ؛ ٨ : ٢٩٥ ؛ ياقوت ١ : ١٧٩ ؛ ٢ . ٨٢ ؛ ٤ : ٥٥٨ و ٥٧٩ . ابو الفداء ٥٠ .

جاء اسما هذين النهرين في بعض الاوقات خطأ بصورة سيحون وجيحون ، على نحو ما يسمى به صنواهما نهرا آسية الوسطى . اما فيما يتصل بالفم القديم لنهر سارس ، فيحسن بنا أن نلاحظ ان ابن سرابيون (المخطوطة : الورقة ٤٤ آ) ذكر ان نهر سيحان (سارس) كان في ايامه (اى في بداية المئة الرابعة = العاشرة) يصب في جيحان (بيراموس) على خمسة فراسخ فوق المصيصة ، وبهذا يشترك هو وجيحان في مصب واحد في البحر . أما اليوم ، فللنهر سيحان فم في الجهة الغربية قرب مرسينة . ومن الممكن تتبع معالم المجرى القديم . أنظر : المجلة الجغرافية . Geog. Jour. لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٤١٠ .

وعني الخلفاء العباسيون الاولون ، ولا سيما المهدي وهرون الرشيد ، بتحصين طرسوس وشحنها في أول الأمر بثمانية آلاف من المقاتلة . وكانت الندبات السنوية على النصارى تجتاز من باب الجهاد المشهور لمقاتلتهم . وفي الجهة اليسرى من جامع طرسوس ، دفن الخليفة المأمون ، فقد ادركته منيته وهو في بذندون (بدندس (Podandos العربية منهـا . وكان يشق المدينة نهر البردان (نهر كودنس Cydnus) . وفي سورَي المدينة ستة أبواب وخندق عميق . ولبثت طرسوس ، على ما قال ياقوت ، ثغراً اسلامياً حتى كانت سنة ٣٥٤ (٩٦٥) فان نقفور ملك الروم Nicephorus Phocas استولى على الثغـور ونزل على طرسوس فسلمها اليـه من كان بها على الامان والصلح . فخرج منها من المسلمين من أراد بلاد الاسلام وأقام نفر يسير على الجزية . وخربت المساجد ، وأحرق نقفور المصاحف وأخذ من خزائن السلاح ما لم يُسمع بمثله ، ولم تزل طرسوس بيد النصارى الى هذه الغاية أى سنة ٦٢٣ (١٢٢٦) » .

وكان نهر كودنس القديم يعرف على ما بينّا ، بنهر البـردان أو بردى . وذكر ابن الفقيه انه كان يسمى ايضا نهر الغضبان . ومخرجه من أصل جبل في شمال طرسوس يعرف بالاقرع ويصب في بحر الروم غير بعيد عن المصب الحديث لنهر سيحان . وفي ناحية الغرب ، على مرحلة من طرسوس ، نهر كان يؤلف حدا مائيا في الازمنة الاولى ، وهو نهر لموس Lamos سماه العرب نهـر اللامس . « وعليـه يكون الفداء اذا فودي بين المسلمين والروم » . ومما يلي هـذا النهر بلدة للروم تعرف بسلوقية أو سلوقية قليقية Seleucia of Cilicia وقد صار أسمها في أيام الترك في العهد الاخير سلفكة Selefkeh[٥].

ويقطع جبال طوروس دروب كثيرة سلك المسلمون اثنين منها بوجه خاص في غزواتهم السنوية لبلاد الروم : اولهما درب الحدث وهو في الشمال الشرقي وكان من مرعش فشمالا الى ابلستين وقد عرفت هذه المدينة في الازمنة الاخيرة

---

(٥) ابن حوقل ١٢٢ ؛ ابن الفقيه ١١٦ ؛ البلاذري ١٦٩ ؛ المسعودي ١ : ٢٦٤ ؛ ٧ : ٢ ، ٨ . ٧٢ ؛ ياقوت ١ : ٥٥٣ و ٥٥٨ ؛ ٣ : ٥٢٦ ؛ الطبري ٣ : ١٢٣٧ .

بالبستان (وهى أبلستا البزنطية Ablastha وعربسوس اليونانية Arabissus) وكان يحمى هذا الدرب حصن الحدث Adata وقد مرّ ذكره فى الفصل السابق . وثانى الدروب ، وكثيرا ما كان يُسلك فى الأزمنة القديمة ، هو درب الابواب القليقية الضارب شمالا من طرسوس ، ومنه يأخذ الطريق العام الى القسطنطينية . كان هذا الطريق هو الذى يسلكه سعاة البريد ويمرّ منه وفود قيصر والخليفة ، كما انه الطريق الذى تتبعه ندبات الغزو العديدة من الاسلام والنصارى . وقد عني ابن خرداذبه فى سنة ٢٥٠ (٨٦٤) بوصف هذا الطريق ، وعنه نقل غير واحد من المصنفين بعده . كان هذا الدرب يعرف فى قسمه الجنوبى بدرب السلامة وينصل بما يسمى پيلية قليقية Pylae Ciliciae وهى الأبواب القليقية المشهورة .

ودونك هذا الوصف ، على ان كثيرا من المواضع المذكورة فيه لا يمكن تعيينها فى يومنا ، وقد وضعنا بين قوسين ما تيسرت معرفته عن اسماء بعضها . قال ابن خرداذبه : « من طرسوس الى الـمُثَقب اثنا عشر ميلا ، ثم الى الرهوة (أى المكان المنخفض ولعلها مپسُكرينة Mopsukrene القديمة) ، ثم الى الجوزات اثنا عشر ميلا ، ثم الى الجردقوب سبعة أميال ، ثم الى البذندون (Podandos وهى بزنطى الحديثة) سبعة أميال وفيها عين تسمى عين رقة مات عندها المأمون[٦] . ثم الى مسكر الملك على حمة لؤلؤة (لولون Loulon) والصفصاف عشرة أميال (قرب فوستنوپولس Faustinopolis) وكذلك حصن الصقالبة عشرة أميال ، وتصير الى مسكر الملك وقد قطعت الدرب (النهاية الشمالية من درب الابواب القليقية) وأصحرت . ومن مسكر الملك (حيث نهاية الابواب القليقية) الى وادى الطرفاء اثنا عشر ميلا ، ثم الى منى عشرون ميلا ، ثم الى نهر هرقلة (وهرقلة هى اراكلية الحديثة وهركلية Heraclia عند الروم وهى المدينة التى استولى عليها هرون الرشيد عنوةً) اثنا عشر ميلا ، ثم الى مدينة اللبن ثمانية أميال ، ثم الى رأس الغابة خمسة عشر ميلا . ثم الى المسكنين ستة عشر ميلا ، ثم الى عين برغوث اثنا

(٦) انظر خبر ذلك فى مروج الذهب (٧ : ٩٤) وتاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٢٠٩ طبعة المنيرية . (م) .

عشر ميلا ، ثم الى نهر الاحساء (أى النهر الذى تحت الارض) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى ربض قونية (ايكونيوم Iconium) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى العلمين خمسة عشر ميلا ، ثم الى ابروسمانة عشرون ميلا ، ثم الى وادى الجوز اثنا عشر ميلا ، ثم الى عمورية (آموريون Amorion) اثنا عشر ميلا . وطريق آخر من العلمين الى عمورية يبدأ من العلمين الى قرى نصر الاقريطشى خمسة عشر ميلا ، ثم الى رأس بحيرة الباسليون (بحيرة الاربعين شهيدا) عشرة أميال ، ثم الى السند عشرة أميال ، ثم الى حصن سنادة (وهى حصن سنادس Synades) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مَنْزل خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى غابة عمورية ثلاثون ميلا .

ومن عمورية الى قرى الحرّاب خمسة عشر ميلا ، ثم الى صاغري (وهو Sangarius) نهر عمورية ميلان ، ثم الى العلج اثنا عشر ميلاً ، ثم الى فلامى الغابة خمسة عشر ميلا ، ثم الى حصن اليهود اثنا عشر ميلا ، ثم الى سندابري (سنتابريس Santabaris) ثمانية عشر ميلا ، ثم الى مرج حُمُر الملك فى درّوليّة (دوريليوم Dorylaeum) خمسة وثلاثون ميلا ، ثم الى حصن غَرغُوليَّى خمسة عشر ميلا ، ثم الى كنائس الملك Basilica of Anna Comnena ثلاثة أميال ، ثم الى التلول خمسة وعشرون ميلا ، ثم الى الاكوار خمسة عشر ميلا ، ثم الى ملاجنة Malagina خمسة عشر ميلا ، ثم الى اصطبل الملك خمسة أميال ، ثم الى حصن الغبراء (وهى كيبوتس Kibotos حيث معدية تصل الى Aigialos) ثلاثون ميلا ثم الى الخليج (وهو بوسفور القسطنطينية Bosporus) اربعة وعشرون ميلا ، ونيقية Nicaea بازاء (أى جنوب) الغبراء » . وبهذا يختتم ابن خرداذبه كلامه على طريق القسطنطينية[٧] .

(٧) ابن خرداذبه ١٠٠ — ١٠٢ و ١١٠ و ١١٣ وقد جاء فى ابن خرداذبه (ص ١٠٢ — ١٠٣) وصف طرق تختلف بعض الشيء عن هذا الطريق . وزاد الادريسى على ذلك ذكر المسافات (طبعة جوبرت Jaubert ٢ : ٣٠٨ و ٣٠٩) وقارن ذلك بما كتبه رمسى Ramsay فى HGAM (ص ٢٣٦ و ٤٤٥) . وقد عين البروفسور رمسى (أنظر المجلة الجغرافية GJ لشهر تشرين الاول ١٩٠٣ ص ٢٨٣) حصن الصقالبة المشهور بكونه خرائب الحصن البزنطى المبنى بالرخام الاسود المسمى الآن أنشا بلمه من البيانة فى أعالى الجبل المطل حيوبا على مدينة بزنطى (بدندوس أى بودندس) اما حصن لولون Loulon البزنطى ، وقد سماه العرب لؤلؤة ، فقد عينه أيضا (انظر نفس

اما ماكان يعرفه المصنفون العرب القدماء عن جغرافية آسية الصغرى ، فليس الا لمحات خاطئة لا تمت الى الواقع بصلة الا وصفهم الطريق العام الى القسطنطينية. مصداق ذلك ما نراه من حلف عند ابن حوقل بين النهرين المختلفين : آلس وصاغره وهلس وسنكاريوس . ونجد أيضا في التواريخ القديمة اسماء جمله من مدن الروم بصورتها المعربة ولكن معظم هذه الاسماء قد انتهى الينا على غير هذه الصور بعد الفتح التركى . على ان ما يؤسف له ، هو ان المصنفين العرب لم يخلفوا لنا وصفا لهذه المدن . ونذكر هنا شيئا منها مما لا شبهة في صحته : الطوانة (Tyana) دباسة (Thebasa) ملقوبية (Malacopia) هرقلة (Heraclia) لاذق (Laodicea) قيصرية (Caesarea Mazaka of Cappadocia) انطاكية (Antioch of Pisidia) قطية (Cotyaeum) انقره (Angora) افسوس (Ephesus) أبيدوس (Abydos) نقمودية (Nicomedia) وغيرها من المدن .

أما طرابزون (Trebizond) وكتب اسمها طرابزندة أو اطرابزندة ، فهي على ما جاء في ابن حوقل أجل ميناء كانت تجلب اليها السلع من القسطنطينية في صدر الدولة العباسية وتحمل منها الى بلاد الاسلام . فكان التجار العرب ووكلاؤهم ينقلون السلع منها عبر الجبال الى ملطية وغيرها من مدن الفرات الاعلى . وكانت هذه التجارة بيد الارمن على ما في ابن حوقل . على ان كثيرا من التجار المسلمين ، حسبما ذكر ، كانوا يقيمون في اطرابزندة . وأخص هذه السلع : ثياب الكتان اليونانى وثياب الصوف والديباج والاكسية الرومية وكلها كان يجلب بحرا من الخليج أى البوسفور . ومما يدل على شهرة طرابزون وعظم شأنها في ذلك الزمن ، ان البحر الاسود كان يعرف باسم بحر طرابزندة . على ان اسمه الرسمى كان بحر بنطس أو بنطش . وهو بنتس Pontos

---

المصدر ص ٤٠١ و ٤٠٢ قصة صورة بهذا الموضع) واللؤلؤة تقوم في الشمال دون الصفصاف . وكذلك الصفصاف على المسوطى الذى في الواقع أسفلها حيث كانت المدينة اليونانية فوستينوبوليس Faustinopolis .

عند الروم الذى كان لتصحيف اسمه (من جرّاء اعجام الحروف العربية) قد كُتب ولفظ منذ الأزمنة الاولى خطأً بصورة نيص ونبطش ، وغالبـا ما اقتبس المصنفون الفرس والترك الاسم بهذه الصورة المصحفة ، وانتقل هذا التصحيف الى المطبعة فلا سبيل الى رجعه الى سابق اسمه[٨] .

ومع ان ما دوّنه مصنفو العرب عن طبغرافية مدن آسية الصغرى فيما قبل الفتح السلجوقى ، أى فى النصف الاخير من المئة الخامسـة (الحادية عشرة) ، قليل غاية القلة ، فقد كان المسلمون يعرفون معظم هذه البلاد ، فانهم كانوا فى أيام بنى امية وصدر الدولة العباسية يقومون فى كل سنة تقريبا بل غالبا مرتين فى السنة ، فى الربيع والخريف بغزوات يحتازون فيها دروب جبل طوروس الى بلاد الروم ، وكانت غاية الغايات عندهم الاستيلاء على القسطنطينية ، وفى الواقع لقد ضرب المسلمون الحصار على القسطنطينية ثلاث مرات فى أيام بنى امية ولكن نهاية كل حصار كانت وخيمة على المهاجمين ، وليس ذلك بمستغرب اذا ما علمنا ان البوسفور يبعد عن طرسوس قاعدة الهجوم العربى نيفا واربعمئة وخمسين ميلا فى خط مستقيم يقطع هضبة آسية الصغرى الجبلية .

واول هذه الحصارات الثلاثة المشهورة كان فى سنة ٣٢ (٦٥٢) فى ايام عثمان ، حين غزا معاوية ــ وقد تولى الخلافة فيما بعد ــ آسية الصغرى واجتازها يريد القسطنطينية ، فهاجمها اولا ثم ضرب عليها الحصار ولكنه اضطر الى رفع الحصار عنهـا لمـا بلغـه مقتل الخليفة عثمان ، واعقب ذلك أحداث انتهت بقيـام الدولـة الاموية ، وكان الحصار الثانى فى سنة ٤٩ (٦٦٩) حين بعث معاوية ــ وكان قد اصبح خليفة ــ ابنه وولى عهده يزيد لقتال الملك قسطنطين الرابع ، بيد ان عجز قادة الجيش اوقع بالجيش الاسلامى هزيمة منكرة ، فلما توفى ابوه صارت اليه الخلافة فعاد الى بلاده ، أما الحصار الثالث وهو اشهر حصار وقع على القسطنطينية فقد دام سنين فى عهد الخليفة سليمان الذى بعث اخاه مسلمة فى سنة ٩٦ (٧١٥)

---

(٨) ابن حوقل ١٢٩ و ١٣٢ و ٢٤٠ و ٢٤٦ ؛ ابن خرداذبه ١٠٣ ؛ البلاذرى ١٦١ ؛ الطبرى ٣ : ٧٠٩ و ٧١٠ ؛ ابو الفداء ٣٤ ؛ ياقوت ١ : ٤٠١ و ٤٩٩ ؛ المسعودى ١ : ٢٦٠ .

وقد يسمى البحر الأسود بحر الخزر وهو اسم يطلق فى العادة على بحر قزوين (ابن خرداذبه ١٠٣) .

لقتال ليو الايزوري Leo the Isaurian وقد انتهى الينا عن هذه الحملة التي باءت ايضا بهزيمة المسلمين اخبار كاملة من التواريخ العربية والرومية • وفي هذه الحروب اشتهر عبدالله الملقب بالبطال الذي اعتبره الترك بعد زمن طويل بطلهم القومي والجندي المسلم الذي لا يقهر •

ولم تحل هذه الخسائر والهزائم دون مضي المسلمين في غزواتهم سنة بعد أخرى ما خلا فترة قصيرة انصرف فيها العباسيون الى توطيد أركان دولتهم ، ثم حلّوا في ذلك محل بني أمية بعد قرن أو أكثر من قرن على توليهم الخلافة • والعباسيون وان صعب عليهم ضرب الحصار على القسطنطينية ، فانهم غزوا ارجاء آسية الصغرى مرة تلو أخرى وأعملوا فيها النهب والحرق • وأشهر هذه الغزوات : غزوة الخليفة المعتصم بن هرون الرشيد في سنة ٢٢٣ (٨٣٨) على عمورية • وهي الموصوفة بانها اجل مدينة في الشرق ، وامنع واحصن بلاد الروم وهي عين النصرانية ، فأمر الخليفة بنهبها وهدمها وحرقها وعاد الخليفة راضيا ومعه المغانم[٩] •

وقد عني ابن خرداذبه بوصف أعمال آسية الصغرى في أيام ملوك الروم • ويفيدنا وصفه في تصحيح التفاصيل المشوشة التي دوّنها قسطنطين بورفيروجينيتس

---

(٩) اناض المستر بروكس E. W. Brooks في سرد غزوات المسلمين في آسيه الصغرى مستقيا ذلك من المراجع العربية مع التعليق عليها في بحثه الموسوم « العرب في آسية الصغرى من سنه ٦٤١ الى ٧٥٠ م » The Arabs in Asia Minor, 641 to 750 المنشور في مجلة الدراسات الهلينية (Journal of Hellenic Studies) المجلد ١٨ سنة ١٨٩٨ • وفي بحثه الموسوم « البزنطيين والعرب في صدر الدولة العباسية : ٧٥٠ – ٨١٣ م » Byzantines and Arabs in the time of early Abbasid, 750 to 813 المنشور في المجلة الانكليزية التاريخية English Historical Review, القسم الأول منه في عدد تشرين الأول ١٩٠٠ وقسمه الثاني في عدد كانون الثاني ١٩٠١ • وقد عالج موضوع حصار القسطنطينية العظيم في ايام خلافة سليمان في مقال نشره في مجلة الدراسات الهلينية أيضا (المجلد ١٩ لسنة ١٨٩٩ بعنوان « حملة سنه ٧١٦ الى ٧١٨ بحسب المراجع العربية ، (The Campaign of 716 to 718 from Arabic Sources) وتناول هذا الموضوع من الجانب البزنطي البروفسور جي • بي • بوري J. B. Bury في كتابه History of the Later Roman Empire المجلد الثاني ص ٤٠١ • ويسمي المسلمون Constantinople بالقسطنطينية • اما فيما يتصل باسمها البزنطي الذي يقال ان منه اشتق لفظ « استانبول » الاسم التركي الحديث فيحسن بنا ان نلاحظ ان المسعودي في النصف الأول من المئة الرابعة (العاشرة) كتب (التنبيه ص ١٣٨) ان الروم في ايامه كانوا يسمون عاصمتهم بولن Bulin (اي بولن Polin ومعناها : المدينة) • « واذا أرادوا عنها انها دار الملك لعظمها قالوا اسطن بولن ولا يدعونها القسطنطينية وانما العرب تعبر عنها بذلك » •

ونحن على كل حال فى غنى عن بحث Constantine Porphyrogenitus ذلك ها هنا اذ ان هذا الموضوع يدخل فى جغرافية بلاد الروم . اما عدا ما وصفنا من مدن ، فان المصنفين العرب حين تحدثوا عن الحملات الاسلامية على ما وراء الحدود ، أشاروا الى جملة مواضع يصعب تعيينها الآن اما لغموض ما ذكروه عنها واما للبس فى الاسم . وعليه فان مرج الاسقف ، وكثيرا ما ذكروه ، جاء عنه فى أحد مسالك ابن خرداذبه انه على شئ يسير غرب يدندس (البذندون) . والمطمورة[١٠] أو المطامير (بصيغة الجمع) تردد ذكرها كذلك ، وعلينا ان نبحث عنها فى ما جاور ملقوبية . وذو الكلاع وتكتب أيضا ذو القلاع كانت قلعة مشهورة . قال البلاذرى ان اسمها عند الروم تفسيره « الحصن الذى مع الكواكب » . ويبدو انها تطابق سيديروبوليس Sideropolis فى بلاد الشاذق Cappadocia .

ومدينة لؤلؤة وهى لولون عند البزنطيين سماها العرب بذلك ليضفوا على اسمها معنى ، وهى على ما ذكرنا فى النهاية الشمالية لدرب الابواب القليقية والى شمالها كانت تيانا (طوانة أو طُوانة) وقد كان هرون الرشيد شحنها بالمقاتلة وبنى فيها جامعا . وكانت مدينة أو حصن الصفصاف فى طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة ولعلها موضع فوستينوبوليس على ما قد مرّ (ص ١٦٦) ، وفى جنوب البذندون حصن الصقالبة وفيه عسكر ، على ما ذكر البلاذرى ، قوم من الصقالبة كانوا فرّوا من البزنطيين . وكان مروان الثانى آخر خلفاء بنى أمية قد جعلهم فيها لحراسة الدرب[١١] .

وبعد عام ٢٢٣ (٨٣٨) وهو تاريخ حملة الخليفة المعتصم المشهورة على عمورية ، قلّت الغزوات الاسلامية لبلاد الروم . فان تواتر الفتن فى بغداد صرف خلفاء بنى

---

(١٠) اى Mazmorra باللغة الاسبانية تعنى الدهليز وهى Massamora بالاسكندرية (انظر The Antiquary الفصل ٣٢ فى الحاشية) .

(١١) انظر عن اعمال بلاد الروم . البحث الموسوم بـ « الاثبات العربية لاعمال بلاد الروم » Arabic Lists of the Byzantine Themes بقلم بروكس E. W. Brooks فى مجلة الدراسات الهلينية المجلد ٢١ لسنة ١٩٠١ . ابن خرداذبه ١٠٢ و ١٠٥ البلاذرى ١٥٠ و ١٧٠ الطبرى: ٣ : ٧١٠ و ١٢٣٧ ، ابن الاثير ٦ . ٣٤١ ، رمسى Ramsay فى HGAM ص ٣٤٠ و ٣٥٤ و ٣٥٦ .

العباس عن التفكير في غزو بلاد الروم . ومع ذلك فانه منذ منتصف المئة الثالثة (التاسعة) حتى المئة الخامسة (الحادية عشرة) كان كثير من الجيوش الاسلامية المجنّدة من ممالك عدة تابعة للخليفة قد عبر الدروب . ولم تثبت الحدود على حال واحدة بل كانت في تقدم وتراجع واقبال وادبار وفي وسعنا القول ان المسلمين لم يحتفظوا بجزء من الارض مما وراء طوروس احتفاظا مستداما .

ولكن بقيام الاتراك السلاجقة في المئة الخامسة (الحادية عشرة) بعد [كذا . والصواب : قبل] الحروب الصليبية ، تغير وجه الامور في آسية الصغرى كل التغير . ففي ربيع سنة ٤٦٣ (١٠٧١) أحرز الب ارسلان السلجوقي نصرا مبينا في وقعة ملسجرد (منزكرت) فأباد جيش الروم على بكرة أبيه وأسر ملكهم رومانس ديوجينس (Romanus Diogenes) . والى ذلك ، كان الب ارسلان قد استولى سنة ٤٥٦ (١٠٦٤) على آني عاصمة ارمينية النصرانية ، فتقوضت بذلك مملكة بَقْرَ وَنْد الارمنة القديمة فكان من ذلك ان أسس روبن (Rupen) أحد اقاربهم مملكة ارمينية الصغرى في طوروس . وعلى أثر وقعة ملسجرد انفذ الب ارسلان ابن عمه سليمان بن قتلمش الى آسية الصغرى . ثم ان السلاجقة بعد ما كانوا عليه من بداوة ، اقاموا في الهضبة العالية التي تؤلف قلب هذا الاقليم وصارت مملكة الروم منذ ذلك الحين من ديار الاسلام .

وقد أوغل السلاجقة غربا وحالفهم النصر ، فامتدت غزواتهم حتى نيقية ، وبقيت في أيديهم زمنا قصيرا متخذيها عاصمة لهم . ولكنهم ردّوا على أعقابهم في الحملة الصليبية الاولى وتراجعوا الى الهضبة الوسطى واصبحت ايكونيوم (Iconium) وهي قونية التي فتحوها في سنة ٤٧٧ (١٠٨٤) دار ملكهم ولبثت كذلك[١٢] .

---

(١٢) ابن الاثير ١٠ : ٢٥ و ٤٤ ؛ جهان نما ٦٢١ . وانظر تاريخ فن الحرب History of the Art of War بقلم اومان C. Oman ص ٢١٦ – ٢٢١ عن وقعة منزكرت .

وتاريخ السلاجقة في بلاد الروم وخلفائهم الامراء التركمان العشرة المنتهي بقيام سلاطين آل عثمان ، غامض دون في جميع التواريخ الاسلامية يا للأسف . ولم يكن للمؤرخين الفرس ميرخواند وخواند مير ما يضيفانه الى الموجز الذي كتبه المستوفي عن سلاجقة الروم في كتابه « تاريخ گزيده » . ولعل اكمل تاريخ لهذه الدولة ما في كتاب « العبر » لابن خلدون (٥ : ١٦٢ – ١٧٥) غير ان ذلك

دامت سلالة سلاطين قونية السلجوقية أكثر من قرنين أي من سنة ٤٧٠ (١٠٧٧) حتى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) غير ان سلطانهم الحقيقي كان قد انتهى بفتح المغول لقونية في سنة ٦٥٥ (١٢٥٧) وذلك قبل سقوط بغداد بسنة واحدة ٠ واقترن قيام السلاجقة في هضبة آسية الصغرى بنشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية في بلاد طوروس ٠ وبعيد سنة ٤٧٣ (١٠٨٠) اتخذ روبن مؤسس الدولة الجديدة مدينة سيس ويقال لها أيضا سيسية قاعدة لملكه ٠ وبعد ذلك بقرن أي في سنة ٥٩٤ (١١٩٨) لقب ليو بالملك ٠ ولم ينه حكم ملوك ارمينيه الصغرى الذين قاوموا الفتح المغولي الا في سنة ٧٤٣ (١٣٤٢) ٠ وكانت هذه المملكة قد اتسعت رقعتها من سيس فشملت البلاد الجبلية التي يسقيها نهرا سيحان وجيحان ٠ وامتدت جنوبا الى بحر الروم وضمت مدينة المصيصة واذنة وطرسوس ومعظم مدن الساحل الى غرب طرسوس ٠ وكانت سيس (أي سيسية) وهي فلافيوبوليس Flaviopolis القديمة حصن عين زربى البعيد في صدر الدولة العباسية ٠ وقد جدد أسواره الخليفة المتوكل حفيد هرون الرشيد ٠ واستولى عليه الروم بعد ذلك٠ وحين كتب ابو الفداء في سنة ٧٢١ (١٣٢١) نوّه بان ليو الثاني (ابن لاون) الملقب بالعظيم ملك ارمينية الصغرى قد احدثها ، وهي ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير من روافد جيحان ٠ وذكر ياقوت « ان عامة أهلها يقولون سيس » في أيامه ٠

وفي غرب مملكة ارمينية الصغرى وشمالها تمتد بلاد سلاطين السلاجقة ٠ ولم تمض مئة سنة على استيلائهم على هضبة آسية الصغرى حتى كانت جيوش الصليبين قد اخترقت هذا الاقليم ثلاث مرات ، وقد انتهت الحرب الصليبية الاولى

لا يعدو في الحقيقة ان يكون ثبتا بالاسماء والتواريخ ٠ ما تاريخ ابن بيبي ، وقد نشره أخيرا البروفسور هوتسما ، فانه رأسا لا يبدأ الا بعد ملح ارسلان الثاني في سنة ٥٥١ (١١٣٦) ٠ اما السبعون سنة الاولى من حكم السلاجقة حين كانوا يفتحون آسية الصغرى ويوطدون حكمهم فيها ، فلا نعرف عنها شيئا قط ٠ ولم ندوه الا بالنصر العظيم الذي اصابوه في وقعة منزكرت ٠ اما المعارك التي أسفرت عن طرد الروم من هضاب آسية الصغرى فلم يدون عنها شيء كما لم يعثر الى معاهدة بفرض عقدها — بوجه رسمي أو غير رسمي — بين الروم والسلاجقة بعد وقعة منزكرت ٠ وللاطلاع على خلاصة ما يعرف من امراء التركمان الذين خلفوا سلاطين بلاد الروم ، انظر بحث البروفسور لين پول « أخلاف السلاجقة في آسية الصغرى » The Successors of the Saljuks in Asia Minor في مجلة JRAS لسنة ١٨٨٢ ص ٧٧٣ ٠

سنة ٤٩٠ (١٠٩٧) بهزيمة قلج ارسلان الأول (ابن وخليفة سليمان ، أول سلطان على بلاد الروم) من نيقية . ومرت شرذمة من الصليبيين بقونية وعادت الى البحر عند طرسوس وركبت السفن الى فلسطين . وفى الحرب الصليبية الثانية تغلب لويس السابع ملك فرنسة على السلطان مسعود (ابن قلج ارسلان) عند ضفاف مياندر (Meander) سنة ٥٤٢ (١١٤٧) ولكن الفرنج فى فى مسيرهم الى ميناء أنطالية كابدوا خسرانا فادحا فى المنطقة الجبلية . وفى الحرب الصليبية الثالثة يقال ان الملك فردريك بربروسة انتزع فى سنة ٥٨٦ (١١٩٠) قونية عاصمة السلاجقة من قلج ارسلان الثانى (ابن مسعود) . ولكن بربروسة فى متابعته السير غرق فى نهر قرب سلوقية (سلوقية قليقية) لعله نهر لاموس أو نهر اللمس المار ذكره (ص ١٦٥) حيث كان يجرى فى أيام العباسيين الأوائل تبادل الاسرى بين المسلمين والنصارى أى فداؤهم .

ولا ريب فى ان رقعة البلاد التى حكمها سلاجقة الروم قد اختلفت باختلاف الازمنة والاحوال . فقد كان لتضاؤل شأن الروم أو ازدياد قوتهم ، وتشوء مملكة ارمينية الصغرى النصرانية ، وما كانت عليه حال الدويلات الاسلامية المجاورة التى اكتسح الصليبيون بعضها وحكم بعض الوقت امراء الفرنج رعايا من المسلمين ، أثره فى ذلك . وقد عرفنا أهم المدن التابعة لسلاجقة بلاد الروم على نحو ما كانت عليه فى سنة ٥٨٧ (١١٩١) من توزيع قلج ارسلان الثانى أملاكه فى تلك السنة بين أولاده الاحد عشر . فقد كانت قونية (ايكونيوم) ، على ما بيّنا ، عاصمة السلاجقة . وكانت قيصرية (Caesarea Mazaka) ثانى مدن سلطنتهم . وملطية (Melitene) أهم مدن الولاية الشرقية على حدود الفرات . وفى الشمال سيواس (Sebastia) ونكسار (أو نيكسار وهى نوسيزارية (Neo-Caesarea) القديمة) ، وتوقات واماسية (Amasia) وقد اقطع كل منها أميرا سلجوقيا . ومثل ذلك انكورية (Angora) فى الشمال الغربى وبُرْغُلو فى الحد الغربى ولعلها ألو برلو الحديثة وهى غرب بحيرة اكردور . وعلى الحدود الجنوبية شرقى قونية المدن

المهمة : اراكلية Heraclia ونكيدة أو نكدة وابلستين التى عرفت بعدئذ بالبستان (Arabissus).

وقد مدّ السلطان علاء الدين ، الذى اعتلى العرش فى سنة ٦١٦ (١٢١٩) وهو حفيد قلج ارسلان الثانى ، سلطانه شمالا وجنوبا من سواحل البحر الاسود الى بحر الروم • فاستولى على سينوب (Sinope) على البحر الاسود وأنشأ على الساحل الجنوبى ميناء عظيما فى العلايا ـ وقد نسب اليه ـ وما زالت ترى فيه بقايا أخشاب لبناء السفن وغير ذلك من المنشئات الخاصة ببحرية السلاجقة العظيمة • ومدّ سلطانه فى الشمال الشرقى الى مدينة صارى بولى • وقد كان لكتابات جلال الدين الرومى الشاعر الصوفى العظيم الذى عاش ومات فى قونية أبلغ الاثر فى اشتهار عهده • وبعد ان مضت ثلاثون سنة على موت علاء الدين أى فى سنة ٦٣٤ (١٢٣٧) قوض الجيش المغولى سلطان السلاجقة ولم يكن السلاطين الاربعة الاخيرون فى الحقيقة غير ولاة خاضعين لايلخانيى فارس • وفى سنة ٧٠٠ (١٣٠٠) قسمت ولاية الروم بين الامراء التركمان العشرة وهم فى الاصل من اتباع السلاطين السلاجقة[١٣] •

---

(١٣) البلاذرى ١٧٠ ؛ ياقوت ٣ · ٢١٧ ؛ أبو الفداء ٢٣٧ ؛ ابن بيبى ٥ ؛ جهان نما ٦٢١ و ٦٢٢ •

وذكر الادرنتى ، وقد كتب فى سنة ٥٤٨ (١١٥٣) ، انه زار عمورية (جوبرت ٢ : ٣٠٠) ورأى سنة ٥١٠ (١١١٦) كهف اصحاب الكهف السبعة · وهو البلدانى المسلم الوحيد الذى وصف آسية الصغرى فى ايام السلاجقة • ومما يؤسف عليه ان كتابه وصل الينا مصحفا تصحيفا عظيما فقد ذكر عددا من المسالك التى تخترق آسية الصغرى فى كل جهة ولكن من الصعب جدا التحقق منها • فان اسماء المواضع التى تمر بها هذه المسالك لا يميز معظمها وان كان لا يشك فى أسماء المراحل الخاصة · لابريس ٢ : ٣٠٥ ـ ٣١٨ •

وقد عين البروفسور رمسي(MGAM ص ٧٨ و ٣٨٢ و ٣٨٤) حدود مملكة السلاجقة بوضوح ويرى وصف للجوامع وغيرها من ابنية السلاجقة فى سلسلة مقالات كتبه هوار M. C. Haurt موسومة بـ « الكتابات العربية فى آسية الصغرى Epigraphie Arabe d'Asie Mineur فى مجلة الساميات Révue Sémitique سنة ١٨٩٤ ص ٦١ و ١٢٠ و ٢٣٥ و ٣٢٤ وسنة ١٨٩٥ ص ٧٣ و ١٧٥ و ٢١٤ و ٣٤٤ • وفى المجلة الآسيوية Journal Asiatique لسنة ١٩٠١ المجلد الاول ص ٣٤٣ وكذلك فى المقال الموسوم Monuments Seljoukides de Sivas etc. الآثار السلجوقية فى سيواس لكاتبه كرنار M.F. Grenard المنشور فى المجلة الآسيوية لسنة ١٩٠٠ العدد الثانى ص ٤٥١ وانظر أيضا بحث البروفسور رمسى مع ملاحظات فيه للسر سى • ولسن C. Wilson وغيره فى المجلة الجغرافية Geographical Journal لشهر ايلول ١٩٠٢ ص ٢٥٧ و

الفصل العاشر

بلادُ الرُّوم «تتمة»

الامارات التركمانية العشر – ابن بطوطة والمستوفي – البسارية وسيواس – سلطان العراق – امير قرمان – قونية – امير تكة والعلايا وانطالية – امير حميد واكريدور – امير جرميان وكوتاهية وصورى حصار – امير منتشا وميلاس – امير آيدين والسوس وازمير – امير صاروخان ومغنيسية – امير قراسي وبرغامس – الولاية العثمانية وبرصى – امير قزل احمد لى : صنوب (سينوب) .

تنفق حدود الامارات التركمانية العشر في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وحدود المقاطعات اليونانية القديمة في آسية الصغرى . وهذه الامارات هي : قرامان أو قرمان أكبرها وهي ليقونية القديمة (Lycaonia) . وعلى ساحل بحر الروم : تكه وتشتمل على لبقية (Lycia) وبمفيلية (Pamphylia) . وفي الداخل : حميد وتضم بسيدية (Pisidia) وايزورية (Isauria) معا . وكرميان أو جرميان وتطابق فريجية (Phrygia) . وعلى ساحل البحر الاسود : قزل احمد لى ويقال لها أيضا اسفنديار وكانت بفلغونية (Paphalagonia) . وعلى السواحل الايجية : منتشا وهي كارية (Caria) القديمة . وآيدين وصاروخان

مما تطابقان مملكة ليدية (Lydia) ، وفراسى كانت ميسية (Mysia) وأخيرا الولاية العثمانية (وهى للعثمانيين الذين سيطروا بعدئذ على الامارات التسع الاخرى) وكانت فى أول أمرها مقاطعة فريجية ابيكتس(Phrygia Epictetus) وفى ظهرها أراضى بثية (Bythia) اسالية التى انتزعها العثمانيون أخيرا من يد الروم .

وقد انتهى الينا عن حال آسية الصغرى فى أيام الامراء التركمانيين أخبار غريبة جدا دوّنها ابن بطوطة المغربى فى رحلته ، وكان قد نزل فى العلايا فى منصرفه من الشام وزار فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) كثيرا من الامراء الصغار فى طريقه الى صنوب (Sinope) ، ومنها قطع البحر الاسود الى القرم ، ويبدو ان قسما من وصفه قد ضاع يا للأسف . سافر ابن بطوطة من العلايا محاذيا ساحل البحر الى أنطالية ثم ضرب شمالا فاجتاز الجبال الى اكريدور فى حميد على بحيرة اكريدور ومنها توجه الى لاذق (Laodicea ad Lycum) فوصل ميلاس فى منتشا ، ثم قطع آسية الصغرى بطريق منحرف الى قونية وقيسارية فسيواس وارزن الروم ، ومن بعد ذلك يعتري حديث رحلته نقص : اذ ان المدينة التالية التى ذكرها كانت بركي فى آيدين ، ومنها زار اياسلوق (افسوس Ephesus) ، وأخيرا اتجه ابن بطوطة صوب الشمال فالشرق فمرّ فى طريقه بمدينة برصى وغيرها من المدن حتى انتهى الى صنوب فى ساحل البحر الاسود ، وقد زاد معاصره المستوفى ، فى ما كتبه عن جغرافية بلاد الروم ، بعض التفصيل على ما وصفه من مدن ، على ان المستوفى ، وان كتب فى سنة ٧٤٠ (١٣٤٠) ، فقد اعتمد على مراجع قديمة ، فكانت أخباره تصف حال بلاد الروم فى أواخر عهد السلاجقة أكثر مما تصف حال تلك البلاد حين وطد الامراء العشرة سلطانهم فيها .

وفى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) كانت غارة تيمور على آسية الصغرى قد قلبت مجرى الامور رأسا على عقب الى أجل ما ، وردّت الدولة العثمانية الحديثة النشأة على أعقابها زهاء ربع قرن ، وما أورده علي اليزدى عن حروب تيمور وسّع علمنا بهذه البلاد ، وهناك تفاصيل أخرى فى كتاب جهان نما

التركي ٠ وهذا السفر وان دوّن فى مطلع المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) ، حيث كانت الدولة العثمانية قد وطدت أركانها فى آسية الصغرى منذ عهد بعيد ، فانه ذكر أهم ما خلّفه سلاطين آل سلجوق من آثار ٠

وقبل ان نصف الامارات العشر التركمانية ، وقد نوهنا باسمائها آنفا ، يحسن بنا ان نذكر شيئا عن المدن التى فى شرقي قرامان ، وهى التى قد يعينها المجرى الاسفل لنهر هلس (قزل ايرماق عند الترك) و يكملها خط يتجه جنوبا الى جيحان ٠ كانت آسية الصغرى فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) مما يلي شرق هذا الحد من مملكة الايلخانيين ، وهم الامراء المغول الذين تولوا حكم العراق وفارس ٠ وكانوا يولون عمالهم على هذه القاع لينشروا السلام بين قبائل التركمان البدوية الصغيرة التى حلت فى هذه البلاد بعد الفتح المغولى العظيم ٠ وكانت أهم المدن فى شرق حدود قرامان : قيصرية (وتكتب أيضا قيسارية وهى Caesarea Mazaka فى القباذق) وقد كانت فى زمن بنى سلجوق ثانية مدن الروم ، وعدّها القزوينى قاعدة ملكهم ٠ ويُرى فيها فيما يرى من المقامات : جامع (ابى محمد) البطّال ، بطل العهد الاموى ٠ ووصف المستوفى قيصرية بان حولها سورا من حجر بناه السلطان علاء الدين السلجوقي ٠ وكانت مدينة عظيمة محصنة عند لحف جبل ارجاست (Argaeus) ٠ وذكر المستوفى ان ارجاست كان جبلا شامخا لا يفارق الثلج قمه ، وينحدر منه أنهار كثيرة ٠ وفى لحفه : دولو (Davlû) ٠ وهو موضع سيأتى ذكره ٠ وفوق قمة الجبل بيعة عظيمة ٠ وفى قيصرية ٠ موضع يقولون انه حبس محمد ابن الحنفية ، من ابناء الامام علي ٠ ولما زار ابن بطوطة قيسارية (وقد كتب اسمها بهذا الوجه) ، كان بها عسكر اهل العراق ، من عساكر السلطان المغولى ٠ وكانت قيصرية فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) أولى المدن الكبرى التى استولى عليها جيش تيمور فى آسية الصغرى ٠

وابلستين (ارابيسوس Arabissus) فى شرق قيصرية ٠ وهي من مدن الثغور فى أيام الروم ٠ وقد ذكرت أيضا فى فتوح تيمور ٠ قال المستوفى ان ابلستين مدينة لا كبيرة ولا صغيرة ٠ وذكرها صاحب جهان نما بالتهجئة الحديثة

« البستان »» وكانت قير شهر (وهي جستيانوبوليس موكيسوس Justinianopolis (Mokissus الرومية على نحو ثمانين ميلاً غرب قيصرية ، وكانت ذات شأن ، وكثيرا ما ورد ذكرها في أخبار حروب تيمور • ووصف المستوفي قير شهر بانها مدينة كبيرة ذات مبان جميلة • وعدها صاحب جهان نما من مدن قراماں • وكانت اماصية أو اماسية (Amasia) في عهد السلاجقة من مراكز حكوماتهم • وروى المستوفي ان السلطان علاء الدين قد احدثها • ووصفها ابن بطوطة ، وقد مرّ بها ، بقوله انها « مدينة كبيرة حسنة وهي فسيحة الشوارع والاسواق ذات أنهار وبساتين وعلى أنهارها النواعير تسقي جناتها ودورها • وتُملكها لصاحب العراق. • وبقرب منها بلدة سونسي (كتبها جهان نما بصورة صونيسا) « وبها سكنى أولاد ولى الله تعالى ابى العباس احمد الرفاعي »• وفي شمال اماسية : لاذق (Laodicea Pontica) وهي موضع ذو شأن بيد السلاجقة • وكثيرا ما ذكرها ابن بيبي في تاريخه • ووصف المستوفي ميناء سمسون (أو صامصون وهي اميسوس Amysos عند الروم) بأنه مرفأ عظيم للسفن • وبحلول النصف الاخير من المئة الثامنة (الرابعة عشرة) نمت ثروتها بانتقال تجارة سنوب (أو صنوب Sinope) اليها وهي الميناء الذي كان قبلها[1] •

وكانت نيكسار (أو نكسار وهي Neo-Caesarea اليونانية) مدينة جليلة خاضعة للسلاجقة • وكثيرا ما ورد ذكرها في ابن بيبي • وقد وصفها المستوفي بانها مدينة وسطة حولها بساتين تكثر فيها الفواكه • وكانت توقات (وتكتب أيضا دوقاط) في غرب نيكسار على طريق اماسية • وكانت من الحكومات المظيمة التابعة لبني سلجوق • ويليها في الغرب : زيلة وقد ذكرها ابن بيبي ومن جاء بعده من المصنفين • وأحدث السلطان علاء الدين مدينة سواس (Sebastia) على قزل ايرماق (هَلس Halys) وقد شيّد أبنيتها الجديدة كلهـا بالحجارة المهندمة • وروى المستوفي ان الموضع كان مشهورا بثياب الصوف التي تحمل

---

(١) القزويني ٢ : ٣٧١ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٨٧ و ٢٨٦ و ٢٩٢ ؛ ابن بيبي ٢٦ و ٣٠٨ ؛ المستوفي ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ علي اليزدي ٢ : ٢٧٠ و ٤١٦ و ٤١٧ ؛ جهان نما ٥٩٩ و ٦١٥ و ٦٢٠ و ٦٢٢ و ٦٢٣ •

منهـا . وهى ذات هواء بارد يكثر فيها القطن والقمح . وتكلم ابن بطوطة على سيواس فقال هى « من بلاد ملك العراق وأعظم ما له بهذا الاقليم من البلاد ، وبها منزل أمرائه وعماله . مدينة حسنة العمارة واسعة الشوارع أسواقها غاصة بالناس وبها دار مثل المدرسة تسمى دار السيادة » .

ووصف المستوفى الطريق الضارب غربا[٢] من سيواس الى بلاد فارس وهو كما يأتى : مرحلتان الى زاره ، وهى مدينة قليلة الشأن . ثم مرحلتان الى آق شهر (المدينة البيضاء) وقد تردد ذكرها كثيرا فى أخبار السلاجقة . وفى شمال غربى آق شهر قره حصار (الحصن الاسود) وقد أكثر ابن بيبى من الاشارة اليه وسماه قره حصار دولة تمييزا لهذا الحصن — الذى أشار اليه أيضا المستوفى — عن حصن آخر بالاسم ذاته . وسماه جهان نما قره حصار شبين نسبة الى معدن الشب على مقربة منه . ومن آق شهر يتجه الطريق الى بلاد فارس فيبلغ ارزنجان فى ثلاث مراحل ، ومنها مثل ذلك الى ارزن الروم ، ثم يتجه جنوبا الى خنوس (خوناس كما كتبه ابن بيبى ، وخنس اسمها الحالى) وهو ثلاث مراحل . ومنها عشر مراحل الى ملاسجرد (منزكرت) وهذه على ثمانى مراحل من ارجيش القائمة على بحيرة وان[٣] .

كانت امارة قرمان أو قرامان ، أكبر الامارات العشر . وانما سميت بذلك نسبة الى القبيلة التركمانية التى حلت فى هذه الارجاء . وكانت قاعدتها لارندة وقيل لها قرمان أيضا نسبة الى الامارة . ويرقى زمن لارندة الى أيام الروم . وصفها ابن بطوطة ، وقد زارها فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، وكتب اسمها بصورة اللارندة فقال « مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين » . وفى ختام هذا القرن استولت عليها جيوش تيمور ونهبتها ، الا انها استعادت بعد ذلك ازدهارها الاول . والى جنوب لارندة مدينة ارمناك ، وقد تكلم عليها المستوفى وقال انها كانت فيما مضى مدينة كبيرة ولكنها انحطت فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) فصارت مدينة

---

(٢) الصواب « شرقا » على ما هو واضح (م) .

(٣) ابن بيبى ٣٦ و ٢٩٢ و ٣٠٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٨٩ ؛ المستوفى ١٦١ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٩٩ ؛ جهان نما ٤٢٤ و ٦٢٢ و ٦٢٣ .

اقليمية ، وتنوه بها جهان نما حين ذكره سلفكة وكان العرب يسمونها قبلا سلوقية (Seleucia of Cilicia)، ودخلت هذه المدينة فى أيام العثمانيين ضمن الولاية المسماة ايج ايلي ومعناها بالتركية « الارض الداخلة » ، ولما كان هذا الوصف لا يتفق هو ووضع الولاية المبحوث عنها ، اذ انها تحاذى الساحل ، ظنّ ان ايج ايلي ليس الا تصحيفا مختلطا من الاسم اليونانى القديم قليقية Cilicia .

وكانت قونية (Iconium) على ما بيّنا دار ملك السلاجقة ، ولكنها فى عهد امراء قرامان تضاءل شأنها فصارت مدينة فى المرتبة الثانية وروى المستوفى انه كان فيها ايوان عظيم فى القصر الذى بناه السلطان قلج ارسلان وهو بانى الحصن أيضا ، ثم بنى علاء الدين ، أو استحدث ، أسوار المدينة بالحجارة المقدودة وجعل علوها ثلاثين ذراعا واطاف بها خندقا عمقه عشرون ذراعا ، وكان محيط الاسوار عشرة آلاف خطوة وفيها اثنا عشر بابا جعل فوقها أبراجا عظيمة ، ومدّ الماء الوافر اليها من الجبل القريب منها ، واختزنه فى صهريج عظيم تعلوه قبة عند أحد أبواب المدينة ، ومنه كان يخرج ثلثمئة قناة ونيف توزع الماء بين سائر انحاء المدينة . واشتهرت قونية بساتينها التى يكثر فيها المشمش الاصفر وينمو فى مزارعها القطن والقمح .

وذكر المستوفى ، الى ما تقدم ، ان الخراب كان غالبا على قونية فى أيامه وان بقي الربض الذى فى أسفل الحصن آهلا بالسكان ، وكان فى المدينة تربة الشاعر الصوفى العظيم جلال الدين الرومى ، وقد مرّ ذكره ، ويزورها كثيرون . ورأى ابن بطوطة هذه التربة ، وأشاد بقونية فقال انها « مدينة عظيمة حسنة العمارة كثيرة المياه والانهار والبساتين والفواكه وبها المشمش المسمى بقمر الدين ويحمل منها أيضا الى الشام ، وشوارعها متسعة جدا وأسواقها بديعة الترتيب وأهل كل صناعة على حدة » ، وذكر ابن بيبى فى تاريخه عن السلاجقة اسماء ثلاثة من أبواب قونية ، هى : باب سوق الخيل (دروازه اسب بازار) وباب دار الفحص (دروازه جاشنى گير) وباب جسر احمد (دروازه پول احمد) .

وقلعة قره حصار التابعة لقونية ، لا تبعد كثيرا عن شرق قونية ، وقال

المستوفى ان بهرام شاه قد بناها • ويليها هرقلة (Heraclea) وهو اسم تحرّف في الازمنة المتأخرة الى اراكلية • وكثيرا ما تردد ذكرها في جهان نما • وفي شمال قونيـــة : لاديق ســـوخته أى لاديق المحـــــروقة (Laodicea Combusta وهى Katakekaumena اليونانية) وقد أطلق عليها ابن بيبى قرية لاديق تمييزا لهـا عن غـيرها من المدن التى تســـمى (Laodicea (Ad Lycum, Pontica وأشار جهان نما الى لوديقية كمبوستة باسم يورغان لاديق وتسمى أيضا لاذقية قرمان[4] •

وفى شمال ولاية قرمان : انكورة (Angora) (انقيرا Ancyra اليونانية) وقد كتبها البلدانيون العرب القدماء بصورة انقرة والمؤلفون الفـرس والتـرك المحدثون إنكورية[5] • وصفها المستوفى بقوله انها مدينة ذات هواء بارد يكثر فيها القمح والقطن والفواكه • وقد اشتهرت في التاريخ لان فيها تغلب تيمور سنة ٨٠٤ (١٤٠٢) على السلطان بايزيد العثمانى وأسره بعد موقعة حامية • وقوشحصار أو كوج حصار عى الحافة الشرقية للبحيرة الملحة الكبرى ، ذكرها المستوفى وقال انها مدينة وسطة • وقد ورد ذكرها أيضا في جهان نما • وعلى شيء يسير من شرق الطرف الجنوبى للبحيرة : آقسرا (القصر الابيض) • بناها السلطان قلج ارسلان الثانى فى سنة ٥٦٦ (١١٧١) • وصفها المستوفى بانها مدينة فى ارض كثـــيرة الخيرات • وآقصرا (بحسب تسمية ابن بطوطة لها) « يشقها ثلاثة انهار • وداخلها بساتين كثيرة وفيها الاشجار ودوالى العنب وتصنع فيها (فى المئة الثامنة = الرابعة عشرة) البسط المنسوبة اليها من صوف الغنم لا مثل لها فى بلد من البلاد • ومنها تحمل الى الشام ومصر والعراق » • وزاد ابن بطوطة على ذلك ، ان اقصرا فى أيامه كانت « فى طاعة ملك العراق » •

وعلى نحو خمسين ميلا شرق آقسرا : ملنقوبية (ملكوبية Malacopia)

---

(٤) ابن بطوطة ٢ ، ٢٨١ و ٢٨٤ ؛ للمستوفى ١٦٢ و ١٦٣ ؛ عل اليزدى ٢ : ٤٥٨ ' جهان نما ٦١١ و ٦١٥ و ٦١٦ ؛ ابن بيبى ٨ د.٩ و ٢٨٧ و ٣٢٤ •

(٥) فى معجم البلدان (مادة انقرة) انقرة : هو فيما يظنى اسم للمدينة المسماة انكورية (م) •

ذكر المستوفى أنها موضع ذو شأن فى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) • والى شمال هذه المدينة : قرا حصار أخرى • وصفها المستوفى بانها من أعمال نيكدة • والى شرق هذه المدينة أيضا : دولو (وجاء أسمها فى جهان نما بصورة دوءلو) • وهى على ما بينّا تقوم عند لحف جبل ارجاست وقد ورد ذكرها غير مرة فى تاريخ ابن بيبى فى كلامه على قيصرية • ووصف المستوفى دولو بانها مدينة وسطة ، جدد السلطان علاء الدين السلجوقى بناء أسوارها • وفى جنوب ملقوبية : نيكدة (وكتبها ابن بيبى نكيده) وقد قامت فى موضع طوانه القديمة (تيانة Tyanah) بناها السلطان علاء الدين • ووصف المستوفى نيكدة بانها مدينة لا كبيرة ولا صغيرة • وقد مرّ ابن بطوطة بمدينة نكدة (على ما سماها به) وقال ان بعضها قد خرّب وانها من بلاد ملك العراق ويشقها النهر المعروف بالنهر الاسود وعليه ثلاث قناطر ، وعليه النواعير ومنها تسقى البساتين والفواكه بها كثيرة ، وفى جنوب نكدة : لؤلؤة (لولون Loulon) وكثيرا ما ذكرها ابن بيبى • وقد بينّا انها قلعة عظيمة فى الطرف الشمالى من درب أبواب قليقية • وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) وصف المستوفى لؤلؤة فقال هى مدينة صغيرة حولها أرض خصبة وهواؤها بارد وفيها مواطن للصيد مشهورة[٦] •

والظاهر ان أهم المدن فى بلاد امير تكه : مدينتا العلايا وانطالية وهما ميناءان مشهوران • فالاولى ، على ما بينّا ، اسسها السلطان علاء الدين السلجوقى فوق كوراكسيوم (Coracesium) وقد نزلها ابن بطوطة حين جاء من الشام سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) فوصف العلايا بانها مدينة كبيرة على ساحل البحر ولها تجارة مع الاسكندرية ولها قلعة صعد اليها ابن بطوطة ووصفها بقوله « لها قلعة باعلاها عجيبة منيعة بناها السلطان المعظم علاء الدين » • وكانت العلايا فى أيامه على ما يظهر من بلاد سلطان قرمان •

أما أنطالية ، وهى الميناء الثانى ، فكانت على نحو مئة ميل من غرب العلايا عند رأس الخليج • وقد اشتهرت بان الصليبيين كانوا يبحرون منها الى فلسطين •

---

(٦) ابن بيبى ٥ و ٢٤ و ٤٤ و ٢٧٩ و ٣١٤ ؛ ابن بطوطه ٢ . ٢٨٥ و ٢٨٦ ؛ المستوفى ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ٢٠٢ ؛ ياقوت ٤ ٦٣٥ على اليزدى ٢ . ٤٢٩ ؛ جهان نما ٦١٧ و ٦٢٠ •

وهي بلد كبير عده ياقوت « من مشاهير بلاد الروم وهي حصن على شط البحر واسع الرستاق كثير الاهل » وفيها بنى السلطان قلج ارسلان السلجوقي قصرا له فوق نشز من الارض يطل على البحر • ووجد فيها ابن بطوطة أيضا ان « كل فرقة من سكانه منفردة بأنفسها عن الفرقة الاخرى : فتجار النصارى ساكنون منها بالموضع المعروف بالميناء وعليهم سور • واليهود في موضع آخر وعليهم سور • وسائر الناس من المسلمين يسكنون المدينة العظمى وبها مسجد جامع ومدرسة » • وانطالية ، وهي التي ورد اسمها في أخبار الحروب الصليبية بصورة ستالية (Satalia) أو اتاليــة (Attaleia) ، قد جاء ذكرها مرارا في حروب تيمور لنك باسم عدالية • وفي غربها ، على ما ذكر علي اليزدي ، استانوس • وهي مدينة ذكرت في جهان نما بصورة استناز[٧] •

وفي شمال تكه كان لامير امارة حميد البلاد التي حول البحيرات الاربع : اكريدور وبردور وبقشهر وآقشهر • وكانت دار المملكة في أيام السلاجقة ، على ما جاء في ابن بيبي ، في مدينة برغلو وهي تطابق الوبرلو الحديثة على ما يظهر (في غرب اكريدور) وهي ســوزوبولس (Sozopolis) أو ابولونيــة (Apollonia) عند الروم • وانطاكية (Antioch of Pisidia) ، وكثيرا ما ذكرتهــا التواريخ الاسلامية القديمة ، قد اضحى اسمها في العهد التركي يلاواج • وكانت في البرية بين بحيرتي آكريدور وآقشهر • والظاهر ان أهم مدن هــذه الولاية في المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ، على ما جاء في المستوفي ، اكريدور وهي مدينة بروستنه Prostanna القديمة) في جنوب بحيرة اكريدور • ووصف ابن بطوطة مدينة اكريدور بقوله « مدينة عظيمة كثيرة العمارة حسنة الاسواق ذات أنهار وأشجار وبساتين (ثم قال :) ولها بحيرة عذبة الماء يسافر المركب فيها الى آقشهر وبقشهر وغيرهما من البلاد والقرى » التي على شطئان هاتين البحيرتين •

وكانت مدينة بقشهر أو بي شهر (وهي كرلية Karallia عند الروم)

---

(٧) ورد في العهد الجديد من الكتاب المقدس ذكر اتالية في سفر الاعمال ١٤ : ٢٥ • ياقوت ١ : ٣٨٨ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٥٧ و ٢٥٨ ؛ جهان نما ٦١١ و ٦٣٨ و ٦٣٩ ؛ علي اليزدي ٢ : ٤٤٧ و ٤٤٩ •

عند طرف بحيرتها وقد بناها السلطان علاء الدين السلجوقي على ما جاء في جهان نما . ولها سور من حجر فيه بابان وفيها مسجد جامع وحمامات حسنة وسوقها في موضع يسمى آلرغة . والى غرب اكريدور مدينة بردور على بحيرة بردور وهي بلدة صغيرة . قال ابن بطوطة انها كثيرة البساتين والانهار ولها قلعة في رأس جبل شاهق . وجاء في جهان نما ان اسبارطة وهي في جنوب اكريدور كانت قاعدة حميد في الازمنة المتأخرة . وكتب ابن بطوطة هذا الاسم بصورة سبرتا . وقال انها « بلدة حسنة العمارة كثيرة البساتين والانهار لها قلعة في جبل شامخ » . وتمثل هذه المدينة مدينة برس (Baris) البزنطية وتعرف اليوم باسم سبارتا[٨] .

أما بحيرة آقشهر فهي التي سماها ابن خرداذبه (أنظر الصفحة ١٦٧ أعلاه) الباسليون وقد عرفها الروم بحيرة الاربعين شهيدا . والى غربها الحصن العظيم قرا حصار . وكثيرا ما جاء اسمه مرتبطا باقشهر في حروب تيمور لنك . وفي آقشهر ، على ما ذكر علي اليزدي ، كان السلطان بايزيد ايلدرم العثماني المنكود الحظ قد مات كمدا في سنة ٨٠٥ (١٤٠٣) وكان تيمور لنك قد قهره في انقرة . وذكر المستوفي هاتين المدينتين : آقشهر وقرا حصار في جملة ما عرف من أمكنة بهذين الاسمين . وقرا حصار هذه تعرف اليوم بافيون قره‌حصار لكثرة ما يزرع فيها من الأفيون وهي تعين موضع مدينة بريمنسوس (Prymnessos) أو اكروينس (Akroenos) اليونانية . وتؤكد الروايات المحلية ان البطال ، وهو بطل عهد بني امية الاول ، في حروبهم مع الروم قد قتل في وقعة جرت بالعرب منها . على ان الطبري ، وهو أقدم مرجع لدينا ، روى في حوادث سنة ١٢٢ (٧٤٠) ان عبدالله البطال « قتل في أرض الروم » ولم يشر الى موضع مقتله[٩] .

---

(٨) سبرتا أو اسبارته هو تصحيف الاسم اليوناني (eis Bápion) انظر الحاشية في ص ١٩٠ عن ازميد وازنيق (نيقوميدية ونيقية Nicaea , Nicomedia) .

(٩) ابن بيبي ٥ و ٢١٢ و ٢٥١ و ٢٨٣ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٦٥ و ٢٦٦ ؛ المستوفي ١٦٢ و ١٦٣ ١٦٤ ؛ جهان نما ٦١٨ و ٦٣٦ و ٦٤٠ و ٦٤١ ؛ علي اليزدي ٢ : ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٨٩ ، و ٤٩٢ رمسي HGAM ٨٧ و ١٣٩ و ٣٦٦ و ٤٠١ و ٤٠٦ ؛ الطبري ٢ : ١٧١٦ .

ورد في جهان نما (ص ٦٤٢) ان قبر البطال كان قائما في المئة الحادية عشرة (السابعة عشرة) في سيدي غازي على نيف وخمسين ميلا شمال قراحصار وشرق كوتاهية . اما اليوم فانه

وفى شمال امارة حميد وغربها ، البلاد التى كان يحكمها أمير كرميان أو جرميان وكانت دار حكومته كوتاهية (كوتيوم Cotyaeum) . وكتب المؤرخون العرب هذا الاسم ، على ما بيّنا ، قطيّة ولا مراء ان المدينة البزنطية قد خربت منذ زمن بعيد . وجاء فى جهان نما ان الذى بنى كوتاهية مدينة القرون الوسطى هو سلطان جرميان . وأشار ابن بطوطة الى ان فيها طائفة من قطاع الطرق . وفى ختام المئة الثامنة (الرابعة عشرة) ذكر هذا الموضع كثيرا فى حروب تيمورلنك وكان قد جعله مقر قيادته بعض الوقت . وفى شرق كوتاهية بمئة ميل قرب روافد سنكاريوس (Sangarius) العليا حصن عظيم يقال له سوري حصار اتخذه تيمور أيضا مركزا لقيادته وقتا ما . ومعنى اسمه فى التركية « الحصن المدبب » ؛ (وكتبها القزوينى بصورة سرى حصار) ، وكان فوق موضع بسينوس (Pessinus) الرومانى الذى سمى بعدئذ جستينيانوبوليس پالبا (Justinianopolis Palia) . وروى القزوينى انه كان فيه فى المئة السابعة (الثالثة عشرة) بيعة مشهورة تسمى بيعة كمناتوس . « وان الدابة اذا احتبس ماؤها يطاف بها حول هذه البيعة سبعا ينفتح ماؤها » .

والى جنوب سورى حصار : مدينة عمورية (Amorion وهى عند أستار قلعة الحديثة) وقد تكلمنا عليها قبلا (ص ١٧٠) . وفى المئة الثامنة (الرابعة عشرة) أشار المستوفى اليها بقوله انها موضع ذو شأن وان عامة الناس كانوا يسمونها ، لسبب مبهم ، أنكورية أو انكوره (Angora). وكرّر جهان نما هذه السمية الغريبة المغلوط فيها وقال ان انكورية هى التى يقال لها عمورية . وفى جنوب شرقى جرميان ، مدينة لاذق (Laodicea ad Lycum) التى سمّاها الاتراك دنزلو (المياه الوافرة) لكثرة انهارها ويعرف هذا الموضع اليوم باسم اسكى حصار (القلعة القديمة) وقد وصفها ابن بطوطة فقال « هى من أبدع المدن واضخمها

يرى فى غير ضمير . اما انطاكية بسيدية (Antioch of Pisidia) فيظهر ان التواريخ العربية القديمة تميل فى كل وقت الى خلطها بمواضع اخرى بالاسم ذاته ولا سيما بانطاكية الشام . وقد أشار اليعقوبى فى تاريخه (١ : ١٧٧) الى انطاكية المحترقة التى تفسر على ما يظهر معنى انطاكية بسيدية . وتكلم المؤلف نفسه (٢ . ٢٨٥) على غزوة وقعت فى سنة ٤٩ (٦٦٩) . ثم ذكر « انطاكية السوداء » ولعله أراد بهذا الاسم Antioch of Isauria انطاكية ايزورية .

فيها سبعة من المساجد لاقامة الجمعة وأسواقها حسان ، وتصنع بها ثياب قطن معلمة بالذهب لا مثل لها وأكثر الصناع بها نساء الروم » ، وقد ذكر جهان نما ان اسمها القديم : لاذقية[١٠] ،

وفى امارة أمير المنتشا ، زار ابن بطوطة المدن المتجاورة الثلاث : مغلة وميلاس وبرجين وكان مقام الامير فى مغلة (مبلة Mobolla القديمة) وهى دار حكمه على ما جاء فى جهان نما ، وقد أشار ابن بطوطة الى انها مدينة حسنة ، وكانت ميلاس (Mylasa أو Melisos) أيضا مدينة من أحسن بلاد الروم واضخمها ، كثيرة الفواكه والبساتين والمياه ، وكانت برجين (Bergylia وتعرف اليوم اسكارلك) على بضعة أميال من ميلاس « وهى جديدة على تل هنالك بها العمارات الحسنات والمساجد » ، وزار ابن بطوطة فى القسم الشرقى من المنتشا مدينة قل حصار وقد ذكرها المستوفى باسم « گل » وقال فيها انها مدينة وسطة ، وأشير اليها أيضا فى حروب تيمور ، ووصفها ابن بطوطة فقال « بها المياه من كل جانب قد نبت فيها القصب فلا طريق لها الا طريق كالجسر مهيأ ما بين القصب والمياه ، والمدينة على تل فى وسط الماء منيعة لا يُقدر عليها » ، وكان فى شمال المنتشا حصن طواس ويسمى فى وقتنا هذا دوناس (Donas) وهو على مسيرة يوم ونصف من لاذق(Laodicea ad Lycum). وصف ابن بطوطة طواس بانه حصن كبير فى اسفله ربض ، ويقال ان صُهيبا الصحابى من أهل هذا الحصن[١١] .

والى شمال المنتشا بلاد امير آيدين وكانت قاعدتها تيرة (Teira) ، وحكى ابن بطوطة وقد زار امير آيدين فيها انها « مدينة حسنة ذات انهار وبساتين » ، وقد مرّ أيضا بمدينة بركى (برگيون Pyrgion) على مرحلة من شمال تيرة ، وقد أطرى أشجارها الباسقة ، وتقوم مدينة آيدين أو گزل حصار فى موضع

---

(١٠) القزوينى ٢ : ٣٥٩ ؛ ابن بطوطة ٢ : ٢٧٠ و ٢٧١ و ٤٥٧ ؛ المستوفى ١٦٢ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٤٨ و ٤٤٩ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٤ و ٦٤٣ .

(١١) ابن بطوطة ٢ : ٢٦٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٨٠ ؛ المستوفى ١٦٣ ؛ جهان نما ٦٣٨ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٤٨ .

ترليس (Tralleis) البزنطية وكانت مدينة قليلة الشأن، وكانت أفسس على الساحل، وقد عرفها البلدانيون العرب باسم افسوس أو أبسوس ، واشتهرت لان فيها كهف اصحاب الكهف الذين جاء ذكرهم فى القرآن (السورة ١٨ ، الآية ٨) ، وقد عرفت هذه المدينة بعد ذلك باسم ايا سلوق (وتكتب أيضا اياثلوخ أو اياسليغ) وهو تصحيف الاسم اليونانى (Agiou Theologou) وسميت بذلك لان فيها كنيسة كبيرة للقديس يوحنا اللاهوتى بناها الملك يسطنياس ، وقد زار ابن بطوطة هذه الكنيسة حين كان هناك سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ووصفها بقوله « مبنية بالحجارة الضخمة ويكون طول الحجر منها عشر أذرع فما دونها ، منحوتة ابدع نحت ، والمسجد الجامع بهذه المدينة من أبدع مساجد الدنيا لا نظير له فى الحسن وكان كنيسة للروم ، فلما فتحت هذه المدينة جعلها المسلمون مسجدا جامعا ، وحيطانه من الرخام الملون ، وفرشه الرخام الابيض ، وهو مسقف بالرصاص ، وفيه احدى عشرة قبة منوعة ، وزاد ابن بطوطة على ما تقدم انه كان لاياسلوق فى أيامه خمسة عشر بابا ، ونهرها يشقها الى البحر ، « وعن جانبي النهر الاشجار المختلفة الاجناس ودوالي العنب ومعرشات الياسمين » .

وكان فى آيدين مبناء عظيم آخر هو سمرنة (Smyrna) وسماه الترك أزمير أو يزمر وهى التى ظفر بها تيمور من الفرسان الاسبانية فى مطلع المئة التاسعة (الخامسة عشرة) ، وصفها ابن بطوطة ، وكان فيها سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) ، فقال « معظمها خراب ولها قلعة متصلة بأعلاها » ، وزاد على ذلك ان امير آيدين « كان كثير الجهاد ، له احفان غزوية[١٢] يضرب بها على مدن نصرانية فى سواحل البحر قرب ثغر آيدين ويسبي ويغنم » ، ومن هذه المدن : فوجة « أو فوجة وهى فوجية Phocia) على ساحل امارة صاروخان ، فقد ذكرت بعد ذلك فى أيام تيمور لنك بانها حصن اسلامى ، وذكر ابن بطوطة فى رحلته انها كانت حينئذ فى ايدي الكفار ، والمراد بهم الجنويين (أهل جنوة) ، وكانت قاعدة صاروخان مدينة مغنيسية (مغنيسيا وهى Magnesia) قال ابن بطوطة فيها « هى مدينة كبيرة حسنة فى سفح جبل وبسيطها كثير الانهار والعيون والبساتين والفواكه » .

(١٢) الاحفان ضرب من السفن (م) .

وفيها يقيم أمير صاروخان • وفي حروب تيمور اطلق على البلاد التى حول مغني سياه (بحسب تهجئة ذلك الزمن) اسم سروهان ايلي[١٣] •

وفي شمال صاروخان بلاد امير قراصي (أو قره سي) وله داران للحكم في بلي كسري وبرغمة (برگامس Pergamus) • ووصف ابن بطوطة برغمة وقد زارها في سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) بقوله انها « مدينة خربة لها قلعة عظيمة منيعة بأعلى جبل »• اما بلي كسري ، وقد زارها أيضا ، فكانت « مدينة حسنة كثير العمارة مليحة الاسواق ولا جامع لها يجمع فيه ، وان كان سلطان قراصي دمور (أو تيمور) خان يعيش فيها • وأبوه هو الذي بنى بلي كسري » • وكثر ذكر هذه المدينة فيما بعد أيام حروب تيمور •

ومن بلي كسري سار ابن بطوطة الى برصى وقد كانت في أيامه قاعدة الدولة العثمانية حين أخذ نجمها يتألق وسطوتها تقوى وبدأت تبتلع الامارات التركمانية الأخرى • وكانت برصى أو بروسة (Prusa) في ذلك الزمن « مدينة كبيرة عظيمة حسنة الاسواق فسيحة الشوارع تحفّها البساتين من جميع جهاتها والعيون الجارية • وبخارجها نهر ماء شديد الحرارة يصب في بركة عظيمة وقد بني عليها بيتان احدهما للرجال والآخر للنساء • والمرضى يستشفون بهذه الحمة ويأتون اليها من أقاصي البلاد » • وقد زار ابن بطوطة سلطانها العثماني اورخان (وهو جد بايزيد ايلدرم ، وقد مرت الاشارة الى تغلّب تيمور عليه في مطلع القرن التالي) • وفي عاصمته من المباني قبر ابيه السلطان عثمان بمسجدها • وكان مسجدها كنيسة للنصارى •

وكانت ميخاليج (ميلتوبوليس Miletopolis ، وقد سمّاها الروم Michaelitze) على نحو خمسين ميلا غرب برصى • وقد ورد ذكرها كثيرا في حروب تيمور وفي جهان نما • على ان أهم بلاد العثمانيين سنة ٧٣٣ (١٣٣٣)

---

(١٢) ابن بطوطة ٢ : ٢٩٥ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١١ ؛ علي اليزدي ٢ • ٤٦٦ و ٤٦٨ و ٤٧٠ و ٤٨٠ ؛ جهان نما ٦٣٤ و ٦٣٦ و ٦٣٧ ؛ وصفي HGAM ١١٠ و ٢٢٨ ؛ ياقوت ١ : ٩١ ؛ ٢ • ٨٠٦ •

لقد تكلمت على حكاية اصحاب الكهف في افسوس في كتابي Palestine under the Moslems ص ٢٧٤ •

هى نيقية التى أخذها السلطان اورخان من الروم وكان البلدانيون العرب الاولون يسمون Nicaea : نيقية ، وعرفها الترك باسم يزنيق أو ازنيق . ووصف ابن بطوطة بحيره يزنيك فقال انها « تنبت القصب » . وفى طرفها الشرقى مدينة يزنيك « لا يستطاع دخولها الا على طريق واحد مثل الجسر لا يسلك عليها الا فارس واحد » . والمدينة على قوله « خاوية على عروشها لا يسكن بها الا اناس قليلون وبداخل المدينة البساتين . وعليها أسوار أربعة بين كل سورين خندق وفيه الماء ويدخل اليها على جسور خشب » . والى شمال نيقية : نيقوميدية (Nicomedia) وقد عرفها البلدانيون العرب الاولون باسم نقمودية ، وسماها الترك ازنكميد . وبهذه الصورة ورد اسمها فى جهان نما ثم اختصر الى ازميد وهو ما تعرف به اليوم ولم يصف هذه المدينة ابن بطوطة ولا غيره من المصنفين[١٤] .

وكانت امارة قزل احمد لى تشرف على ساحل البحر الاسود مما يجاور البوسفور الى سينوب . وأول مدينة كبيرة بلغها ابن بطوطة فى رحلته من يزنيق بعد عبوره نهر سنكاريوس الذى يسميه الترك سَقَرِي كانت : مُطرني أو مدرني (مدرلو الحديثة وهى Modrene القديمة) وقد ذكر انها بلدة كبيرة . وجاء ذكرها فى جهان نما أيضا . ووصف ابن بطوطة مدينة بولى (كلوديوبوليس Claudiopolis) وهى فى شمال شرقى مطرنى فقال : « بالقرب منها واد لبس بالصغير . وكانت كردي بولي على مرحلة من شرقيها » وهى مدينة كبيرة فى بسيط من الارض حسنة متسعة الشوارع والاسواق وهى محلات متفرقة كل محلة تسكنها طائفة لا يخالطهم غيرهم » . وكانت كردى بولى فى سنة ٧٣٣ (١٣٣٣) مقام الامير ، والظاهر انها كانت حينذاك أولى مدن قزل احمد لى .

---

(١٤) ازنكميد تصحيف للاسم البزنطى eis Nikomedeian وازنيق تصحيف eis Nikaian ابن بطوطة ٢ : ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣٢٢ ؛ على اليزدى ٢ : ٤٦٦ ؛ جهان نما ٦٣١ و ٦٥٦ و ٦٦١ و ٦٦٢ ؛ رمسى HGAM ١٧٩ .

والصورة التى وصف بها ابن بطوطة السلطان اورخان مؤسس الدولة المشهوره بالعثمانية غريبة جدا فقد قال ابن بطوطة « هذا السلطان أكبر ملوك التركمان وأكثرهم مالا وبلادا وعسكرا له من الحصون ما يقارب مئة حصن وهو فى أكثر اوقاته لا يزال يطوف عليها ويقيم بكل حصن منها اياما . ويقال انه لم يقم قط شهرا كاملا ببلد ويقاتل الكفار ويحاصرهم » .

وفي القسم الشرقي من الولاية : قسطمونية (أو قصطموني وأصلها قصطمون) وقد ذكر المستوفي انها مدينة وسطة . وذكرها ابن بطوطة فقال انها « من أعظم المدن ، التي زارها في آسية الصغرى . » وهي كثيرة الخيرات رخيصة الاسعار » . وفي شمال شرقها ميناء صنوب الكبير (سينوب وهو سينوپ Sinope). ومنها ابحر الى القرم . وقد علمنا من وصفه لصنوب انه « يحيط بها البحر من جميع جهاتها الا واحدة وهي جهة الشرق . ولها هنالك باب واحد ، وهي مدينة حافلة جمعت بين التحصين والتحسين . والمسجد الجامع بمدينة صنوب من احسن المساجد فيه قبة تقلّها ارجل من الرخام . وبها قبر الولي الصالح بلال الحبشي » اول من أذن للصلاة في الاسلام .

وعلى خمسين ميلاً جنوب قصطموني : المدينة البزنطية كنگرة جرمانيكوبوليس (Gangra Germanicopolis) وقد سمّاها الترك كانقري . وورد اسمها في التواريخ العربية القديمة بصورة خنجرة . وغزا المسلمون في أيام الخليفة هشام الاموي بلاد الروم وتوغلوا فيها حتى بلغوا مدينة خنجرة . وقال القزويني ، وقد أورد الاسم بصورة غنجرة : « بها نهر يسمى المقلوب لانه آخذ من الجنوب الى الشمال بخلاف سائر الانهار » . وزاد على ذلك ان في سنة ٤٤٢ (١٠٥٠) « وقعت زلزلة هائلة سقط منها أبنية كثيرة ، ولم يبق لها أثر[١٥] . وللاحاطة في ذكر مدن امارة قزل أحمد لي ، يحسن بنا ان نذكر ما سماه صاحب جهان نما بـ « كوج حصار » وهي في نحو نصف الطريق بين قصطموني وكانقري . ولعلها هي قوشحصار نفسها عند المستوفي ، وقد مرت الاشارة اليها (ص ١٨٢) . ويعينها هناك المدينة التي بالاسم ذاته على البحيرة الملحة العظمى[١٦] .

فاذا استثنينا الطريق من طرسوس الى القسطنطينية (وجاء وصفه في ص ١٦٦) والطريق من شرق سيواس الى تبريز (ووصف في ص ١٨٠) ألفينا ان ما

---

(١٥) مافي القزويني (ص ٣٦٨) : « سقط منها أبنية كثيرة وخسف هناك حصن وكنيسة حتى لم يبق لها اثر » . (م) .

(١٦) المستوفي ١٦٣ و ١٦٤ ؛ ابن بطوطة ٢ . ٣٢٥ و ٣٣٢ و ٣٣٦ و ٣٣٨ و ٣٤١ و ٣٤٨ ؛ جهان نما ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥١ و ٦٥٢ ؛ ياقوت ٢ . ٤٧٥ ؛ القزويني ٢ : ٣٦٨ ؛ الطبري ٢ . ١٣٣٦ .

دوّنه اصحاب كتب المسالك عما يخترق آسية الصغرى من طرق لا طائل تحته . على ان جهان نما[١٧] ذكر عددا من المسالك التى تتفرع من سيواس وذكر اسماء ما عليها من قرى ومنازل .

وما زال كثير منها يرى فى الخارطة . ومما يؤسف عليه ان ما بينها من مسافات لم تذكر فى معظم الاحوال . ومن ثم فان ما يمكن استخلاصه من وصف هذه الطرق قليل الجدوى .

---

(١٧) جهان نما ٦٢٧ و ٦٢٨ .